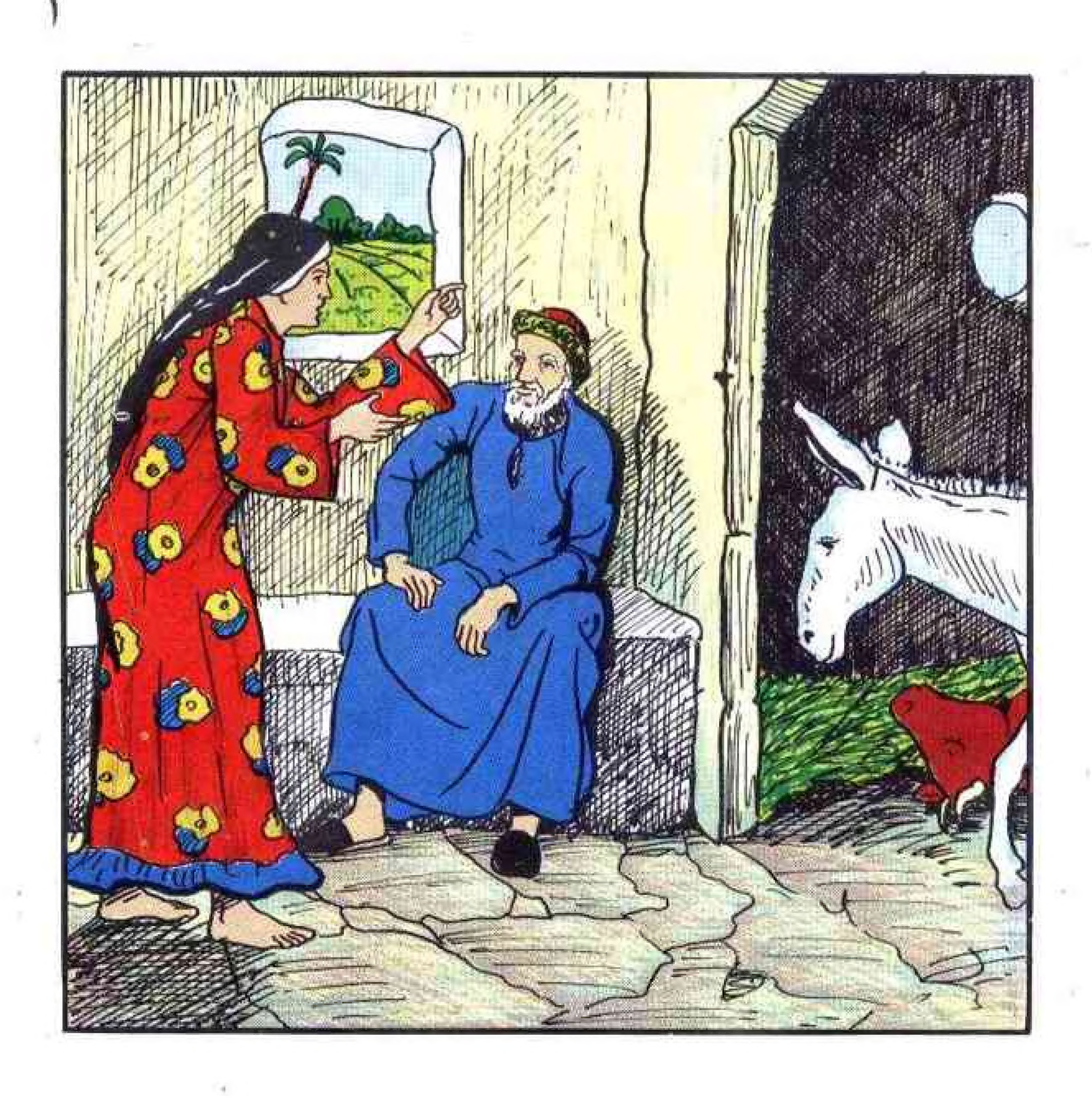
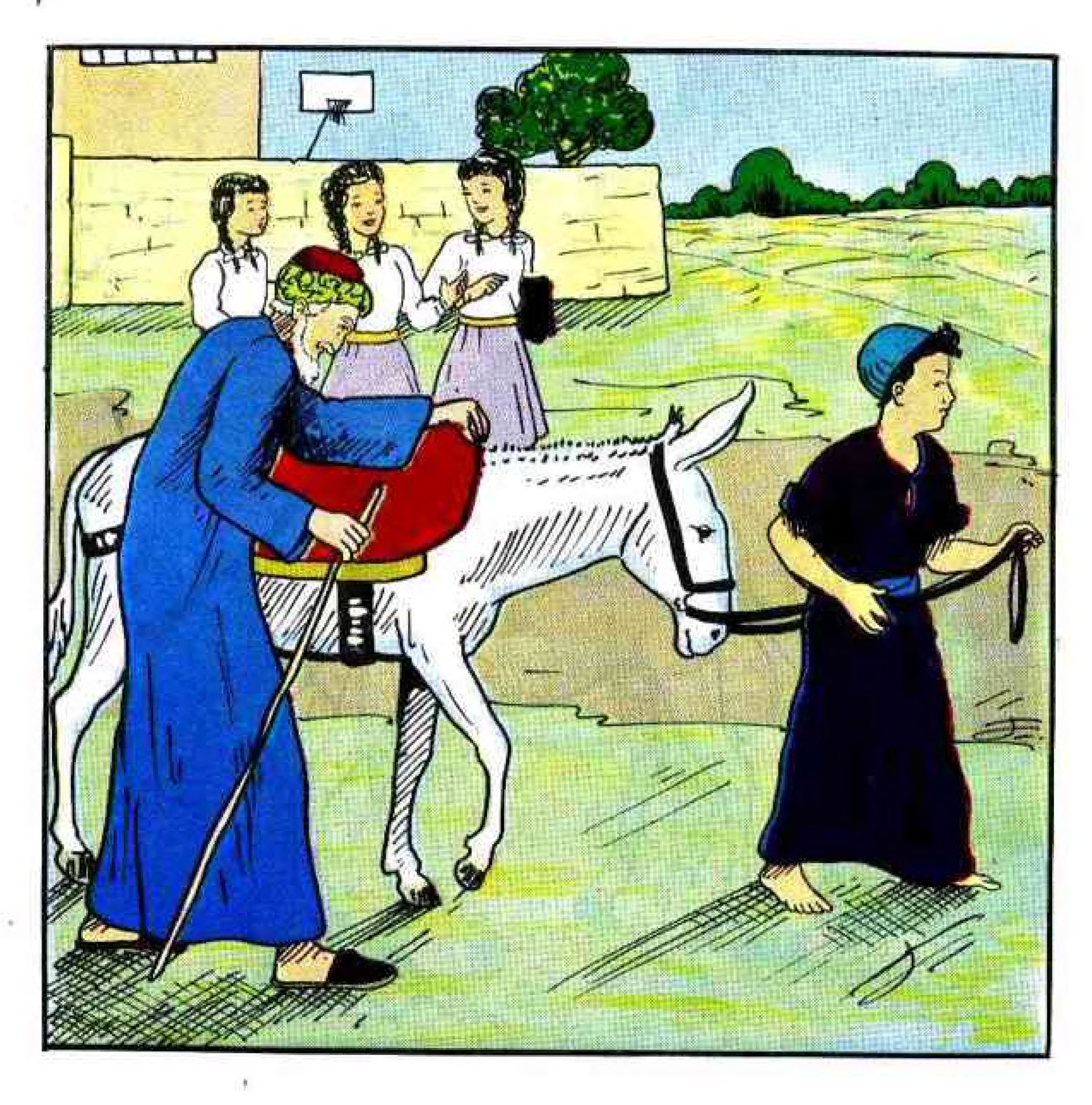

إِلَى السُّوق



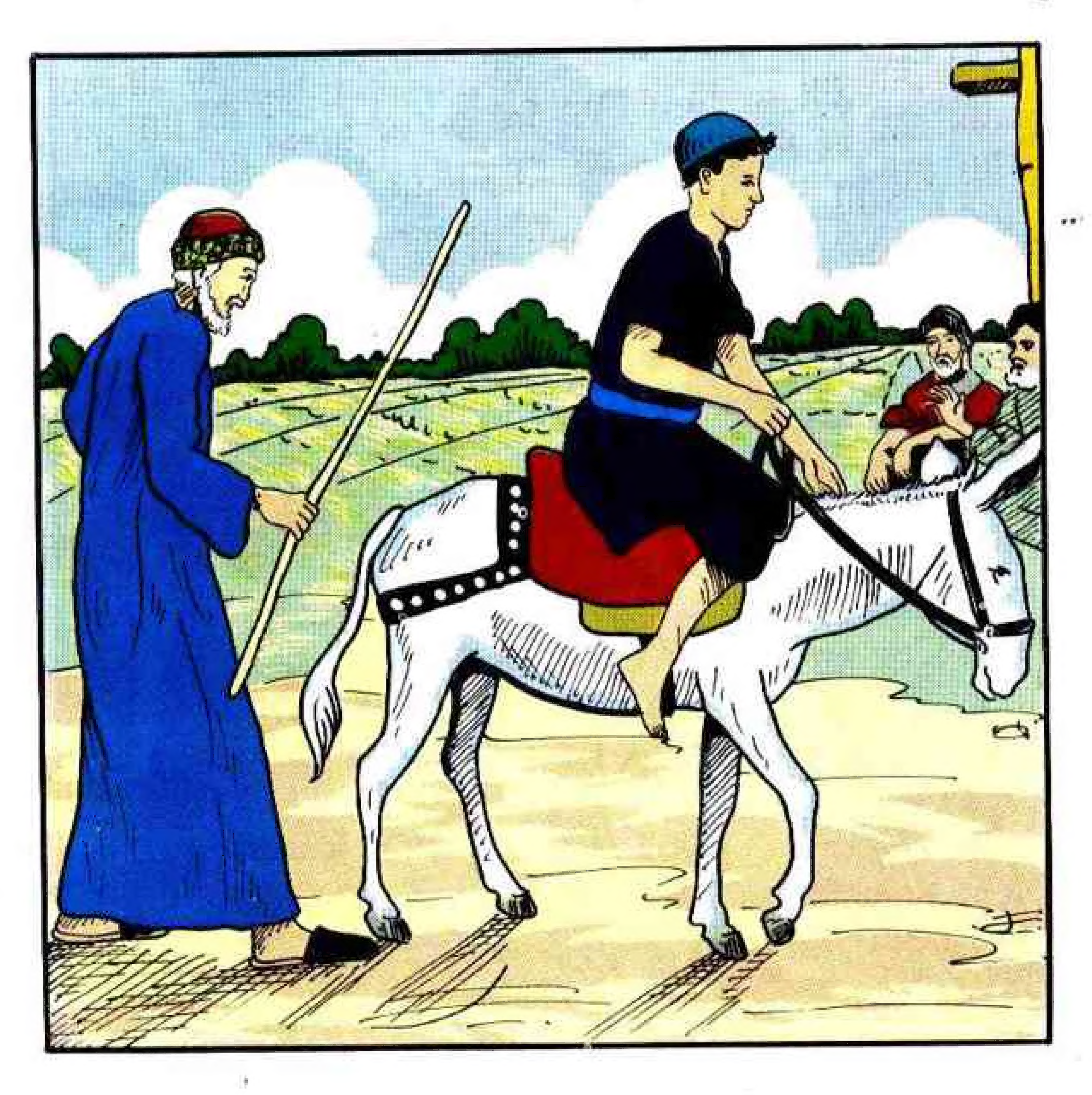
خَرَجَتْ فَاطِمَةُ الْفَلاَّحَةُ مِنْ حَظِيرَةِ الْبَهَائِم ، وَوَقَفَتْ أَمَامَ زَوْجِهَا وَهِيَ حَزِينَة ، وَقَالَتْ لَه : مَاتَتِ الْبَقَرَةُ يَاشَعْبَان !! كَيْفَ نَعِيشُ مِنْ غَيْرِ بَقَرَة ؟؟ فَكَّرَ شَعْبَانُ وَقَال : نَبِيعُ الْحِمَارَ وَنَشْتَرِى بَقَرَة .



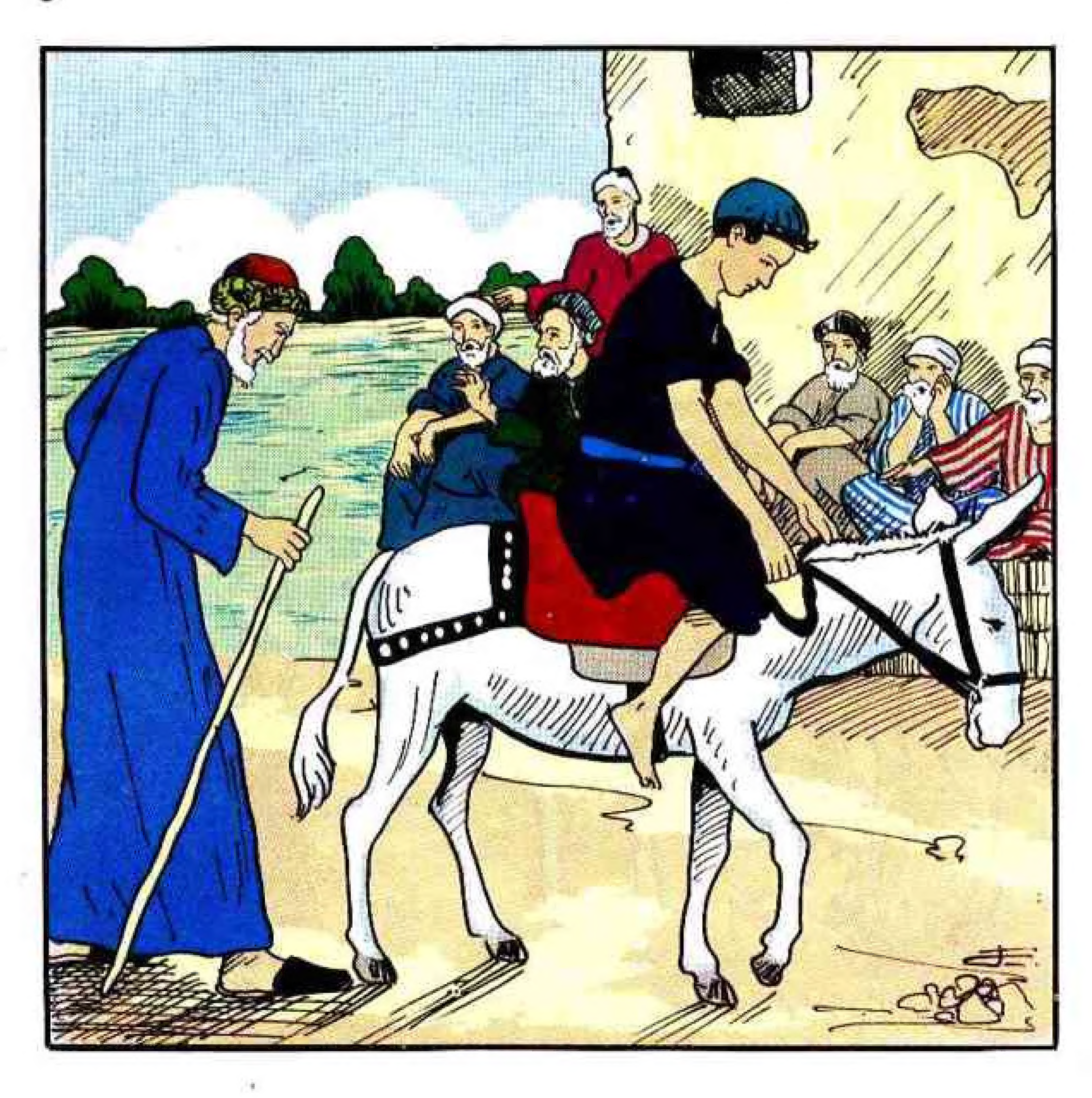
أَخْرَجَ شَعْبَانُ الْحِمَارَ مِنَ الْحَظِيرَةِ ، وَقَالَ لِوَلَــدِهِ حَسَن : نَذْهَبُ إِلَى السُّوق ، وَنَبِيعُ الْحِمَار ، وَنَشْتَرِي بَقَرَة ، لِأَنَّ الْبَقَرَةَ تَحْرُثُ الْأَرْضَ ، وَتَسْقِي الزَّرْعَ ، وَتَجُرُّ النَّوْرَج ، وَتُعْطِينَا لَبَنًا وَزُبْدًا وَجُبْنًا .



قَالَ حَسَن : إِذَا رَكِبْنَا الْحِمَارَ ظَهَرَ عَلَيْهِ التَّعَب ،
وَلَمْ يَدْفَعْ فِيهِ التَّاجِرُ ثَمَنًا كَبِيرًا . نَسْحَبُهُ وَنَمْشِي ! !
وَرَأَتْهُمَا ثَلَاثُ تِلْمِيذَاتٍ صَغِيرَات ، فَضَحِكْنَ وَقَالَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ :
شَيْءٌ عَجِيب !! يَمْشِيَانِ وَمَعَهُمَا حِمَار !! فَسَمِعَ شَعْبَانُ وَوَلَدُه ..



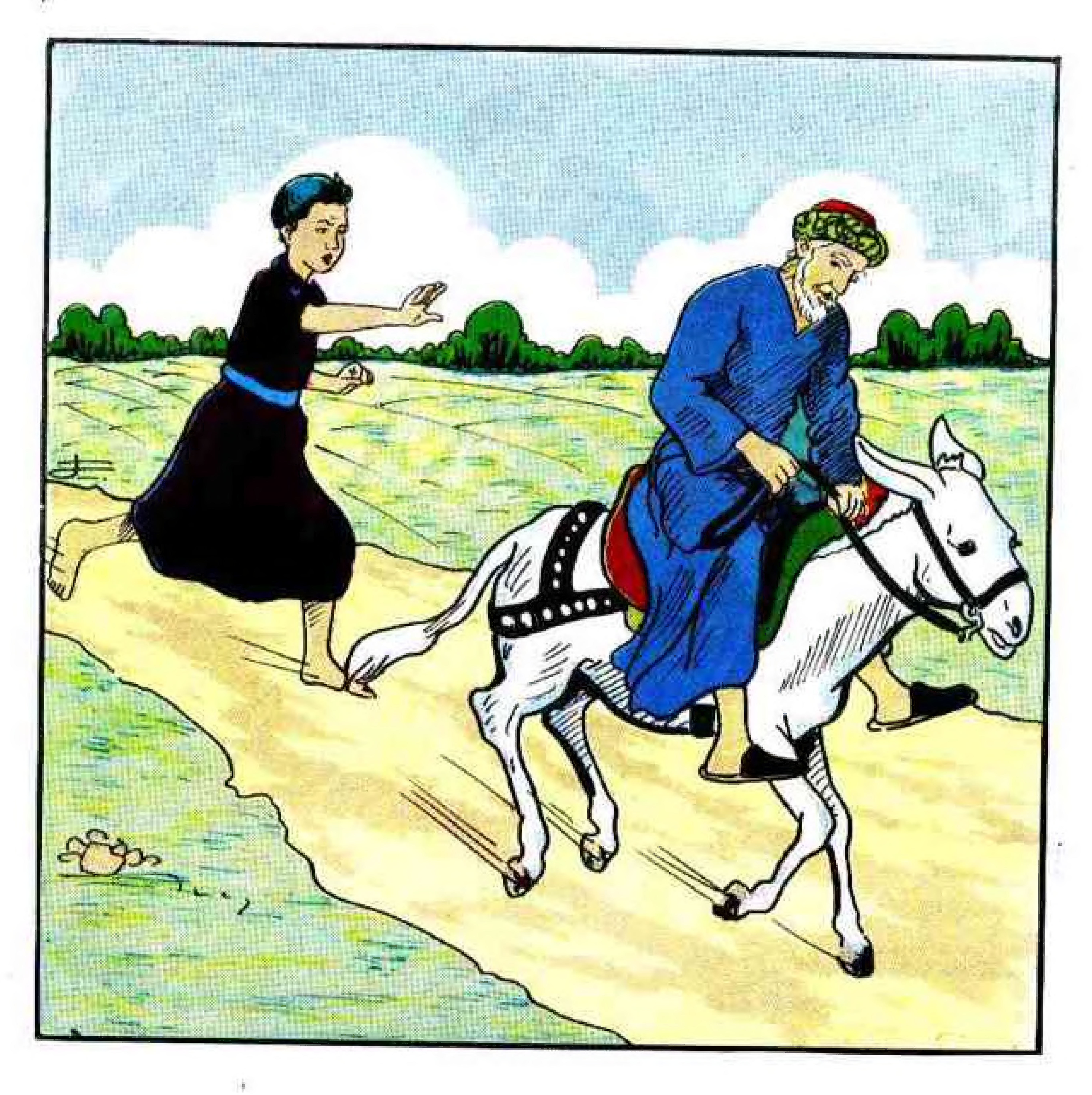
فَقَالَ شَعْبَان : أُنْظُرْ كَيْفَ انْتَقَدَتْنَا التِّلْمِيذَاتُ الصَّغِيرَات !! لَا يَصِحُّ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئاً يَنْتَقِدُهُ النَّاس !! اِرْكَبِ الْحِمَارَ لِأَنَّكَ خَفِيفٌ لَا تُتْعِبُه ، وَسَأَمْشِي وَرَاءَك ، فَسَمِعَ حَسَنٌ كَلَامَ أَبِيهِ وَرَكِبَ الْحِمَار ..



وَكَانَ شُيُوخٌ يَجْلِسُونَ فِي الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا رَأَوْا حَسَنًا يَرْكَبُ وَشَعْبَانَ يَمْشِي وَرَاءَه ، تَعَجَّبُوا وَقَالَ أَحَدُهُمْ بِغَيْظٍ : كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الشُّبَّانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ لَا يَحْتَرِمُونَ الشُّيُوخَ وَأَنْتُمْ لَا تُصَدِّقُونَ ، اُنْظُرُوا !!



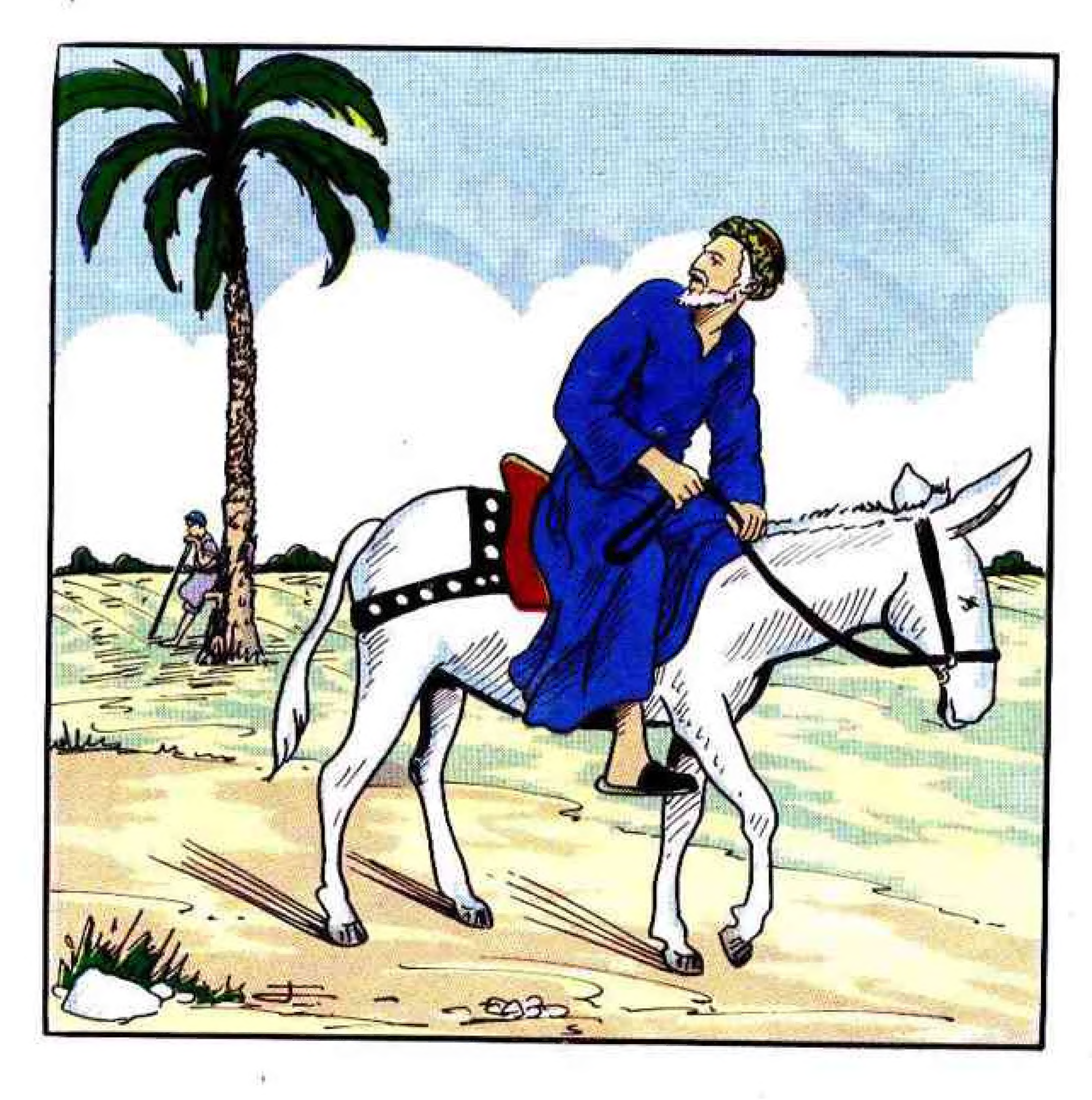
نَظَرَ حَسَنٌ إلَى أَبِيهِ بِخَجَلٍ وَقالَ : هَلْ سَمِعْتَ يَا أَبِي مَايَقُولُونَ ؟ فَقالَ شَعْبَان : قَوْلُهُم حَقٌّ يَاحَسَن ، فَمِنْ أَكْبَرِ الْعُيُوبِ أَنْ يَرْكَبَ الْوَلَدُ وَيَمْشِي أَبُوهُ ! ! هَيَا انْزِلْ لِأَرْكَبَ وَلَوْ تَعِبَ الْحِمَار ! !



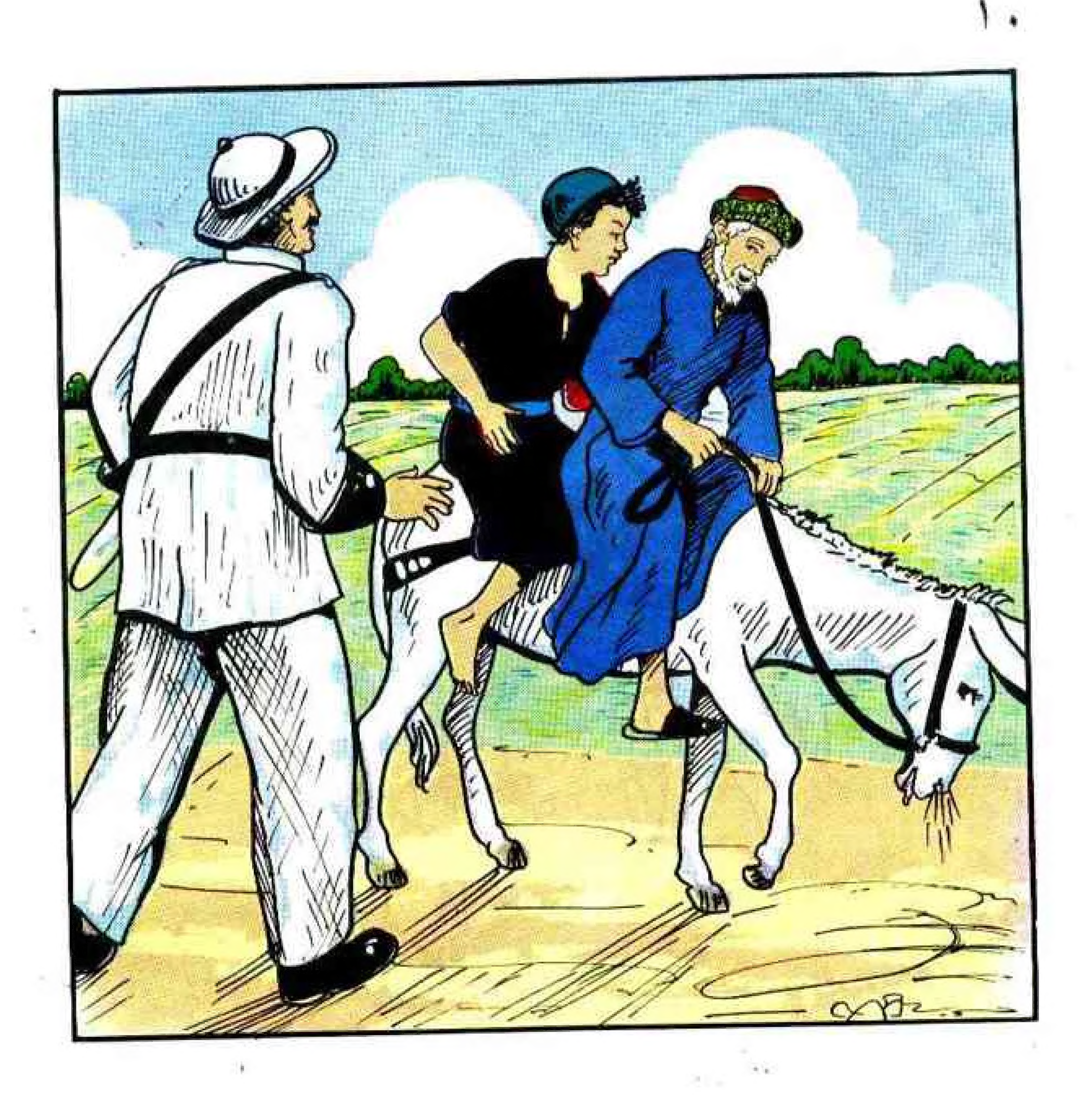
رَكِبَ شَعْبَانُ وَهُوَ يَقُولُ : نَعَمْ لَايَصِحُّ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا يَنْتَقِدُهُ النَّاس !! وَصَارَ الْحِمَارُ يَرْمَحُ وَيَجْرِى ، وَشَعْبَانُ خَائِفٌ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ فَوْقِه ؛ فَلَمْ يَنْظُرْ وَرَاءَه ، لِيَرَى حَسَنًا وَهُوَ يَجْرِى بِتَعَب .



وَكَانَ نِسْوَةٌ مِنَ الْفَلاَّحَاتِ يَغْسِلْنَ مَلاَبِسَهُنَّ بِجِوَارِ التُّرْعَة ، فَلَمَّا رَأَيْنَ شَعْبَانَ يَرْكَب ، وَحَسَناً يَجْرِى وَرَاءَه ، صَاحَتْ إِحْدَاهُنَّ : يَالَلْقَسْوَة !! لاَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّجُلُ أَباً لِهَذَا الصَّبِىِّ الْمِسْكِين ، لَوْ كَانَ أَبَاهُ لَأَرْكَبَهُ مَعَه !!



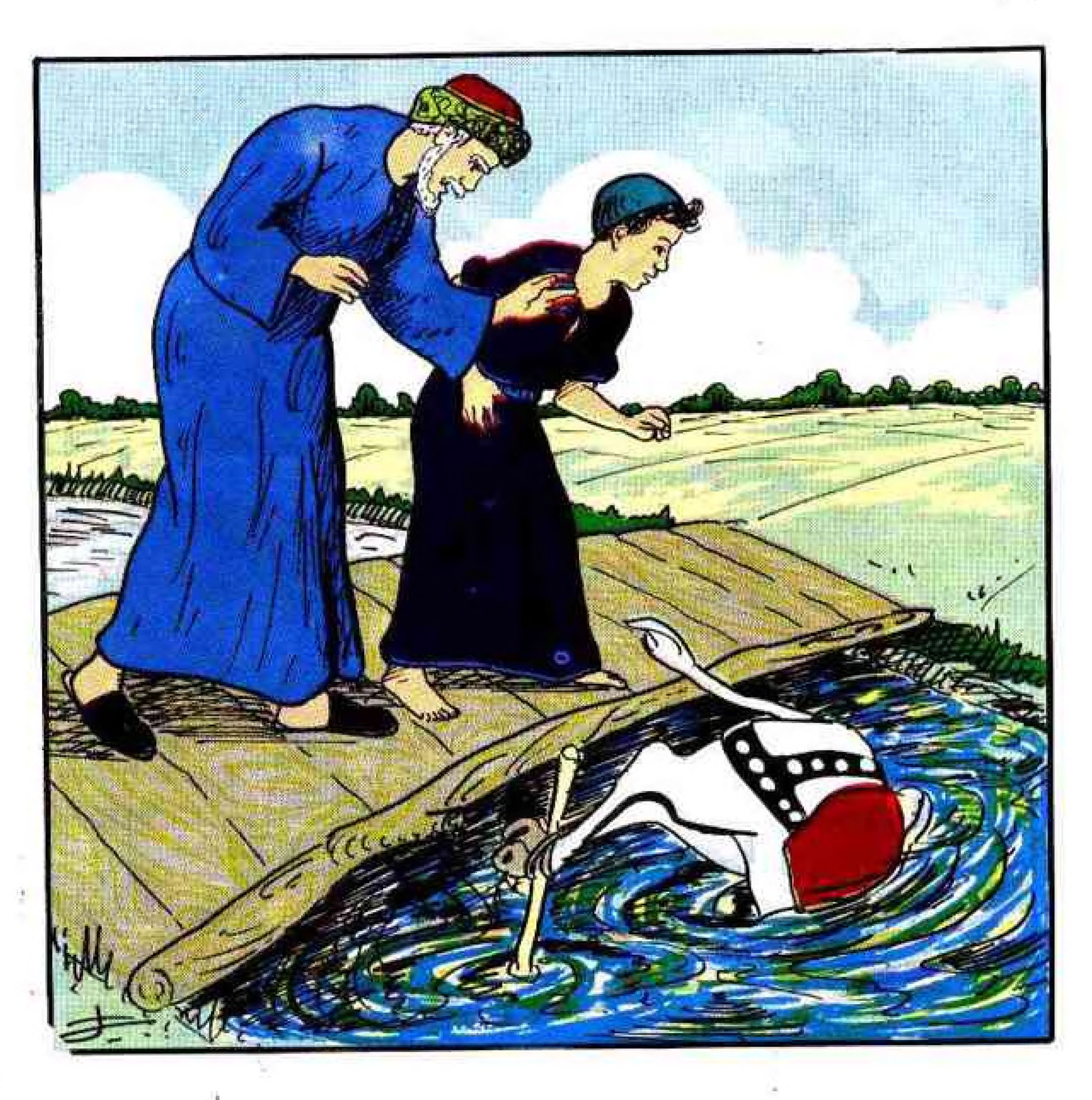
سَمِعَ شَعْبَانُ كَلاَمَ النِّسْوَة ، فَوَقَّفَ الْحِمَارَ ، وَنَظَرَ إِلَى الْخَلْفِ ثُمَّ قَالَ بِأَسَف : حَقّاً يَاوَلَدِى كُنْتُ قَاسِياً عَلَيْك !! مَا أَرَقَّ قُلُوبَ الْأُمَّهَات !! تَعَالَ ارْكَبْ خَلْفِى ، فَإِنَّ تَعَبَ الْحِمَارِ أَهْوَنُ مِنْ تَعَبِك !!



رَكِبَ حَسَنٌ خَلْفَ أَبِيه ، وَزَادَ حِمْلُ الْحِمَار ،
فَتَعِبَ وَصَارَ يَمْشِي بِصُعُوبَة ، وَيَجُرُّ أَرْجُلَهُ جَرًّا . .
وَرَآهُمَا شُرْطِيّ ، فَصَاحَ فِي شَعْبَان : لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ
الْحِمَارُ مَسْرُوقًا ، لَوْ كَانَ حِمَارَكَ لَحَمَلْتَهُ عَلَى ظَهْرِكَ !!



لَمْ يَفْهَمْ شَعْبَانُ أَنَّ الشُّرْطِيَّ يُوَبِّخُه ، وَأَرَادَ أَنْ يُظْهِر لَهُ أَنَّ الْحِمَارَ حِمَارُه ، وَلَيْسَ مَسْرُوقاً . فَأَرْقَدَ الْحِمَارَ عَلَى الْأَرْض ، وَرَبَطَ أَرْجُلَهُ بِحَبْلٍ مَتِين ، وَوَضَعَ فِي الْحَبْلِ عَصاً غَلِيظَة ، وَحَمَلَ هُوَ وَابْنُهُ الْحِمَار ، وَسَارَا . .



وَصَلاَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى قَنْطَرَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَلَمَّا أَرَادَا أَنْ يَعْبُرَاهَا وَهُمَا يَحْمِلاَنِ الْحِمَارَ ، اهْتَزَّتْ تَحْتَهُمَا ، فَسَقَطَ الْحِمَارُ فِي التُّرْعَةِ وَغَرِقَ . وَهُنَا صَاحَ شَعْبَانُ بِأَسَفٍ : خَسِرْتُ الْحِمَارَ ، لِأَنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ جَمِيعاً . وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ ! !